## Articles in Press

# George Makdisi, the Hanbali School, and Moral Order: Commanding Right, Forbidding Wrong, and the Art of Preaching

Samar Al-Fawaljeh, Marwa Kharma

PII: 1278.2025

DOI: https://doi.org/10.35192/jjoas-h.1278.2025

Reference: JJOAS-H 1278.2025

To appear in: Jordan Journal of Applied Science-Humanities Science Series

Received Date: 28 Jan 2025

Revised Date: 26 Apr 2025

Accepted Date: 02 Jul 2025

Please cite this article as: Al-Fawaljeh, S. & Kharma. M. (in press). George Makdisi, the Hanbali School, and Moral Order: Commanding Right, Forbidding Wrong, and the Art of Preaching. *Jordan Journal of Applied Sciences – Humanities Series*. Advance online publication. https://doi.org/10.35192/jjoas-h.1278.2025

This is a PDF of an article that has undergone enhancements after acceptance, such as the addition of a cover page and metadata, and formatting for readability. This version will undergo additional copyediting, typesetting and review before it is published in its final form. As such, this version is no longer the Accepted Manuscript, but it is not yet the definitive Version of Record; we are providing this early version to give early visibility of the article.

Please also note that, during the production process, errors may be discovered which could affect the content, and all legal disclaimers that apply to the journal pertain.

Articles in Press

# George Makdisi, the Hanbali School, and Moral Order: Commanding Right, Forbidding Wrong, and the Art of Preaching

# جورج مقدسي والفلسفة الأخلاقية في المدرسة الحنبلية -الأمر بالمعروف والوعظ أنموذجًا-

Samar Al-Fawaljeh[1*], Marwa Kharma[1].

The University of Jordan, Amman, Jordan

samarmousamouhareb@gmail.com[*]

## Abstract

This study examines the contributions of the Orientalist George Makdisi to the re-evaluation of the Hanbali school, particularly in relation to its moral philosophy. Makdisi challenged many of the unscientific and reductionist conclusions of classical Orientalism about Hanbalism, arguing for its intellectual depth and historical importance. Focusing on the principle of commanding right and forbidding wrong and on the art of preaching (الوعظ/الوعظية) within the Hanbali tradition, the study highlights how Makdisi and other contemporary Orientalists understood these practices as central instruments for promoting virtue, combating moral corruption, and preserving a religious order grounded in Islamic law. Methodologically, the research adopts a historical-analytical approach, tracing how Orientalists cited and interpreted classical Hanbali sources, and examining their readings of texts that deal with commanding right and forbidding wrong and with preaching. The analysis shows that, in the Orientalist reception, the Hanbali school appears as a highly influential current in Islamic history, producing a rich literature on moral regulation and operationalizing it through community-based groups engaged in admonition—whether verbal or, at times, coercive. The study concludes that "force" in the Hanbali context should not be equated with revolutionary violence in the Muʿtazilite sense, which legitimized armed rebellion against rulers. Rather, Hanbali approaches to enforcing moral norms varied over time and place, sometimes generating episodes of tension and unrest, but without systematically endorsing rebellion against political authorities. The principle of commanding right and forbidding wrong in the Hanbali tradition thus had diverse religious, political, and social applications, with preaching functioning both as a rhetorical art and as a subtle mechanism for advancing this principle. Finally, the study foregrounds Makdisi's critical observations on preaching, noting his concern that some preachers instrumentalized this art for personal gain or to secure the favor of ruling elites. These findings contribute to contemporary debates in Islamic intellectual history and neo-Orientalist studies about the relationship between ethics, religious authority, and social control.

**Keywords**: Applied Humanities, George Makdisi, Preaching, Hanbali School, Moral Philosophy, Neo-Orientalism.

## الملخص

تناولت هذه الدراسة تعريفًا بالمستشرق جورج مقدسي الذي كانت له إسهامات واسعة في إعادة قراءة المدرسة الحنبلية، وقدّم انتقادات ومراجعات حول النتائج غير العلميّة التي وقف عليها الاستشراق الكلاسيكي فيما يخصّ هذه المدرسة .وأشارت هذه الدراسة إلى آراء مقدسي تحديدًا وغيره من المستشرقين المعاصرين في موقفهم

Articles in Press

من أهمية مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبفنّ الوعظ في المدرسة الحنبلية كأداتين لنشر الفضيلة في المجتمع، وللتصدي لأنواع الفساد الخلقي حفاظًا على نموذج مجتمعي ديني ملتزم بالشريعة .واقتضت طبيعة الدراسة تتبّع المنهج التاريخي ومناهج أخرى؛ حيث تتبعت استشهاد المستشرقين بكتب التراث، وقامت بالتعليق عليها، كما استقرأت أعمالهم في المدرسة الحنبلية فيما يتعلق بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبفنّ الوعظ، وانتقدت بعض النتائج، وقارنت بينهم في الأدوات والنتيجة .وأظهرت هذه الدراسة الدور الفاعل للمدرسة الحنبلية في التاريخ الإسلامي كما يرى المستشرقون؛ وذلك من خلال استظهار مؤلفاتها العديدة حول مبدأ الأمر بالمعروف، وكذلك ما ترجمته عمليًا من خلال تكوين جماعات مجتمعية خاصة تقوم بهذا المبدأ إما قولًا باللسان أو تغييرًا بالقوة .وخلصت الدراسة **إلى أن** القوة لا تعني عملًا ثوريًا كحالة النموذج الاعتزالي الذي اتخذ السيف والثورة على السلطة، إنما سارت المدرسة الحنبلية على نهج مخالف يتغير ويتطور بحسب الحال والمكان، كإحداث حالات من الشغب والتوتر، ولكنها لم تقل بالخروج على السلطة كحال بعض المدارس الإسلامية الأخرى .كما أن الأمر بالمعروف اتخذ تطبيقات مختلفة في المدرسة الحنبلية؛ فهو مبدأ ديني، وسياسي، واجتماعي، واستخدمت الوعظ كفنّ خطابي وكأداة ناعمة من أدوات الأمر بالمعروف .وسلّطت الدراسة الضوء على الانتقادات التي وقف عليها مقدسي حول هذا الفنّ الذي اتخذه العديد من الخطباء أداة للتكسّب وللتقرب إلى السلطة.

**الكلمات المفتاحية:** الإنسانيات التطبيقية، جورج مقدسي، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فن الوعظ، المدرسة الحنبلية، الفلسفة الأخلاقية، الاستشراق الجديد.

## المقدمة

### الإطار النظري والدراسات السابقة

تهدف هذه الدراسة إلى بيان الآراء التي قدمها الاستشراق الجديد بشكل عام، والمستشرق الأميركي "جورج مقدسي" (١٩٢٠-٢٠٠٢م) بشكل خاص حول اهتمام المدرسة الحنبلية بمبدئي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبأسلوب الوعظ كأداتين لنشر الفضيلة في المجتمع، وللوقوف أمام البدع والمنكرات.

وقد ضمّن جورج مقدسي في كتبه إشارات حول هذا المبدأ؛ فذكر قصصًا جرت مع ابن عقيل (٤٣١-٥١٣هـ) تفيد أهمية عمله به، وقد اعتمد مقدسي في القصص التي أوردها عن ابن عقيل على كتابه الفنون، وما نُقل عنه واستشهد به المؤلفون من بعده، وخاصة ما ذكره ابن الجوزي (٥١٠-٥٩٧هـ) في كتبه: تلبيس إبليس، والمنتظم، وغير ذلك من الكتب التي أحالت إلى الفنون، وإلى كتابه المفقود الإرشاد.

وقد مثّل هذا المبدأ فعالية الدين في الواقع الاجتماعي المسلم، ولم يتوقف هنا فحسب، بل تعددت سياقات التأثير والتطبيق لهذا المبدأ، وإن قراءة فاحصة للقصص التي أوردها مقدسي، وكذلك آراء غيره من المستشرقين حوله، ستكشف عن مقاصد عظيمة تنضوي عليها، ومن ذلك ما ذكره "نيمرود هورويتز" عن فعالية الحركة الحنبلية اجتماعيًا وسياسيًا في بغداد، وخاصة في القرن الرابع الهجري؛ حيث بيّن المسؤولية الأخلاقية التي أدرك الحنابلة وقوعها على عاتقهم لمواجهة البدع والمنكرات.

كما سيتبين من خلال مقدسي أن الأمر بالمعروف اتخذ تطبيقات مختلفة في المدرسة الحنبلية؛ فهو مبدأ ديني، وسياسي، واجتماعي، وسيظهر البحث كذلك الاهتمام الشديد بالوعظ كفنّ خطابي، وكأداة من أدوات الأمر بالمعروف، وسيكشف أن هذا الفن، على أهميته، قد اتخذه العديد من الخطباء أداة للتكسّب وللتقرب إلى السلطة، لذلك انتقدت الحنبلية الممارسات الخاطئة في توظيف هذا المبدأ، وقد أشار مقدسي إلى هذه الانتقادات المهمة.

### الدراسات السابقة

دراسة مورو (٢٠٢٨) التي اقتصرت على مراجعة لكتاب مقدسي "الأشعري والأشاعرة"؛ حيث أوردت أقواله بصورة مختصرة، ثم بيّنت بعض المآخذ عليه، من تناقض للآراء، أو مجانبة الموضوعية في كثير من المسائل التي قررها في الكتاب.

أما هذه الدراسة فإنها لم تتحدّث عن رأي مقدسي في علاقة المدرسة الحنبلية بالمدارس الأخرى كالأشعرية وغيرها، إنما اقتصرت على إيراد موقف مقدسي وغيره من المستشرقين فيما يتعلق بموضوع معيّن، وهو مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبفنّ الوعظ، كما أنها لم تكتفِ بكتاب واحد للمستشرق، إنما استقرأت العديد من أعماله، إضافة **إلى** أعمال مستشرقين معاصرين آخرين.

دراسة مصباح (٢٠٢٢) التي سعت إلى تتبع موقف مقدسي النقدي لمنتوج الخطاب الاستشراقي، وخرجت الدراسة بأن مقدسي كانت له انتقادات على المستشرقين، فقبل بعضها لما فيها من قوة البراهين الدالة على صحتها،

Articles in Press

ورفض بعضها الآخر مؤسسًا ذلك على مخالفة هذه الآراء للوقائع التاريخية، أو لأنها مجرد قراءة أولية وغير ناضجة، وفيها تعميمات مخلّة. وتتبعت المنهج الوصفي التحليلي المقارن؛ لوصف وتحليل آراء المستشرقين، ومقارنتها بما أورده مقدسي في كتاباته.

أما هذه الدراسة فهي مختلفة تمامًا؛ إذ إنها تتناول الحديث عن موقف مقدسي، وتشير إلى غيره من المستشرقين في موضوع معيّن؛ وهو مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبفنّ الوعظ، دون بيان موقف مقدسي الناقد للدراسات الاستشراقية الأخرى التي تعرضت للحديث عن المدرسة الحنبلية. كما أنها استخدمت عدّة مناهج؛ منها التاريخي، والنقدي، والمقارن.

### مشكلة الدراسة وأسئلتها

يعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من المبادئ الأساسية في الشريعة الإسلامية، وهو مبدأ هام يوضح كيفية تشكّل السلوك الفردي والاجتماعي في المجتمعات الإسلامية، كما له متعلقات سياسية، واجتماعية، ودينية، وقد تنبّه المستشرقون إلى أهمية هذا المبدأ في المدرسة الحنبلية خاصة، وذلك خلافًا لما كان متوقعًا عندهم بناءً على نتائج الاستشراق الكلاسيكي وتصوره لهذه المدرسة التي عدّها هامشية في الفعالية الحضارية، فحاولت هذه الدراسة إلقاء الضوء على موقف المستشرقين المعاصرين من أهمية هذا المبدأ في المدرسة، وكيف أثّر في النشاط الحنبلي، مما عزز من هويتهم، وجعلهم يتصدون للبدع والمنكرات.

**أسئلة الدراسة**

وقد حاولت هذه الدراسة الإجابة عن عدّة تساؤلات، أبرزها:

١. ما موقف جورج مقدسي والمستشرقين المعاصرين من مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المدرسة الحنبلية؟
٢. ما أبرز صور وتطبيقات مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المدرسة الحنبلية التي وقف عليها مقدسي والمستشرقون المعاصرون؟
٣. ما أهمية فن الوعظ، وكيف قدّم مقدسي رؤية المدرسة الحنبلية لهذا الفنّ؟

## أهمية وأهداف الدراسة

١. **الأهمية النظرية:** تستمد هذه الدراسة أهميتها من حيث إبراز موقف الاستشراق الجديد في نظرته إلى المدرسة الحنبلية التي تبدو مغايرة لما قدمه الاستشراق الكلاسيكي، والنظر فيما إذا كانت هذه المعارف الجديدة نحو المذاهب والأفكار الإسلامية تشكل معرفة أخلاقية موضوعية، أو أنه يعتريها الانحياز والمعلومات الخاطئة لتوظف تلك المعارف ضمن مخيّل غربي رغائبي لخدمة أغراضٍ سياسية، وخاصة أن الموضوع المقترح هو مبدأ الأمر بالمعروف الذي يشكّل نمطًا إسلاميًا فريدًا يختلط فيه الفردي والاجتماعي، وهذا يخالف المنطق الغربي المعاصر القائم على الفردانية.

٢. **الأهمية العملية:**

- قد تسهم هذه الدراسة في إظهار أهمية مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كأسلوب عمليّ، يستطيع الفرد المسلم من خلال معرفة شروطه وتطبيقاته تحسين الحالة المجتمعية الأخلاقية .
- يُعزّز التركيز على هذا المبدأ من قبل المؤسسات (المسجد، وزارة الأوقاف، مراكز التحفيظ، المدرسة) التفاعل بين أفراد المجتمع .
- قد تلقي الضوء على الباحثين في الإسلاميات لتتبّع الإنتاج الغربي في العلوم الإسلامية، وتحليل العوامل التي تدفعه لدراسة موضوع معيّن، وكيفية توظيفه لنتائجه على الجانب الاجتماعي والسياسي .

**أهداف الدراسة**

- توضح الدراسة موقف جورج مقدسي من مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المدرسة الحنبلية، وفن الوعظ كأحد أدواته .
- تبين شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المدرسة الحنبلية وتطبيقاتها، وذلك من خلال تحليل القصص التي أوردها مقدسي وغيره من المستشرقين .

Articles in Press

- تظهر جهود مقدسي في مساهمات وانتقادات المدرسة الحنبلية لفن الوعظ .

## حدود الدراسة

تناولت دراستي آراء جورج مقدسي في مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفن الوعظ، كما أشارت إلى مواقف بعض المستشرقين الجدد، مثل: مايكل كوك، ونيمرود هورويتز، وكريستوفر ميلشيرت.

## منهج البحث

اعتمدت الدراسة لتحقيق أهدافها كلًا من المنهج النقدي والتاريخي، حيث انتقدت بعض الآراء التي ذكرها المستشرقون، واستمدت شواهد من كتب التراث الحنبلي.

## خطة البحث

- التمهيد: التعريف بجورج مقدسي .
- المبحث الأول: موقف جورج مقدسي من مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
- المطلب الأول: مفهوم مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
- المطلب الثاني: نظرة الاستشراق الجديد إلى مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المدرسة الحنبلية .
- المبحث الثاني: موقف الاستشراق الجديد من مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
- المطلب الأول: إسهامات المدرسة الحنبلية في فنّ الوعظ .
- المطلب الثاني: وقوف مقدسي على انتقادات المدرسة الحنبلية للوعّاظ .

**التمهيد: التعريف بجورج مقدسي**

هو مستشرق أميركي ذو أصول شامية، ولد في ولاية ديترويت، ميشيغان، الأمريكية عام (١٩٢٠م)، وتوفي في بنسلفانيا عام (٢٠٠٢م). حصل مقدسي على الدكتوراه من جامعة السوربون عام ١٩٦٤م عن دراسته للعالِم الحنبلي ابن عقيل، وقد اشتغل بتدريس العلوم العربية والإسلامية في جامعة ميشيغان وهارفارد قبل تعيينه أستاذًا للدراسات العربية في جامعة بنسلفانيا عام ١٩٧٣م.

وقد سار على إثر أستاذه لاووست في العناية والبحث في المدرسة الحنبلية، واهتمّ، على وجه الخصوص، بدراسة ابن عقيل، كما قدم إنجازات لافتة في إظهار دور الحنبلية وآثارهم وأدوارهم، وكان إنجازه الرئيس متمثلًا في أعماله الكبرى عن المدارس في الإسلام الكلاسيكي، ثم عن تأثيرات فكرة المدرسة وبرامجها في نشوء الجامعات في الغرب الأوروبي الوسيط وظهور التيار الإنسانوي (مقدسي، ٢٠١٧).

وقد ساهم بتقديم انتقادات جذرية لكثير من المستشرقين، ورأى أن انحرافًا منهجيًا جعلهم يطمسون الحنبلية بالهرطقة والتهميش والتعصب، ويُقدّم الأسباب التي دفعتهم لذلك، ويفند ادعاءات العديد من المستشرقين، وينقدُ مصادرهم، كما يُظهر العلاقات الجدلية بين كل من الحنبلية والأشعرية والتصوف.

وكتب مقدسي كتابه الإسلام الحنبلي للإشارة إلى المكانة التي احتلتها المدرسة الحنبلية في تاريخ الفكر الديني الإسلامي، حيث يُبين أن الحنبلية تقع في أصل تكوين أهل السنة والجماعة، واعتبرها عقيدة سنية محافظة مثلها مثل الأشعرية، وتقع في قلب الجماعة المسلمة، وهي منذ ولادتها كانت تحمل على عاتقها مهمّة حماية سنة الرسول -صلى الله عليه وسلم- وتراثه، سواء في داخل الجماعة المسلمة نفسها، ثم ضد كل من يهاجمها من خارجها، وقد أورثها هذه المهمة المؤسس أحمد بن حنبل، الذي كان بطل محاكم التفتيش على حد تعبيره (مقدسي، ٢٠١٧)

ومن آثار اهتمامه بالمدرسة الحنبلية قيامه بتحقيق كتاب التوابين لابن قدامة المقدسي (١١٤٧-١٢٢٣م)، ونشره في دمشق، ثم أتبع تلك النشرة بتحقيق كتاب تحريم النظر في علم الكلام لابن قدامة أيضًا. وبدأ نجم مقدسي في السطوع بوصفه باحثًا متخصصًا في تاريخ الفرق الدينية في الإسلام، ولا سيّما أهل السنة.

Articles in Press

## المبحث الأول: موقف الاستشراق الجديد من مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

### المطلب الأول: مفهوم مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

يعد مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم المبادئ والتشريعات الدينية في الإسلام، وقد حظي باهتمام شديد في العديد من المؤلفات الإسلامية نظرًا لأهميته، وحثّ القرآن عليه والسنة النبوية؛ فالمجتمع، بحسب التصوير النبوي، مثل السفينة، ويلزم جميع الراكبين القيام بالأعمال الموكلة إليهم، ومن أراد منهم إحداث خرقٍ في السفينة، أو عرقلة سيرها نحو النجاة، فيجب ردعه عن ذلك لسلامة الجميع.

ففي صحيح البخاري، عن النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا، وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا." (البخاري، الصحيح، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، حديث رقم: ٢٤٩٣).

وهنالك العديد من الآيات القرآنية الدالة على أهمية هذا المبدأ، كقوله تعالى :﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: ١١٠).

فالآيات القرآنية تؤكد أن خيرية هذه الأمة وفعاليتها الحضارية تكمن في هذا المبدأ القرآني؛ إذ توجه الآيات الكريمة الفرد المسلم إلى الخلاص والخيرية الجماعية، لا إلى الفردانية، لذلك فإن هذا المبدأ يجب أن يحظى بمزيد من الاهتمام والتوجيه والتوصية؛ إذ به يمكن للفكر الإسلامي أن يقاوم فلسفة الفردانية التي نخرت العالم المعاصر.

ومعنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما أورد ابن مفلح (٧١٢-٧٦٣هـ):

"الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَهُوَ كُلُّ مَا أُمِرَ بِهِ شَرْعًا، وَالنَّهْيُ عَنْ الْمُنْكَرِ وَهُوَ كُلُّ مَا يُنْهَى عَنْهُ شَرْعًا." (ابن مفلح، ١٩٩٩).

وينقل ابن داود الحنبلي (٧٨٢-٨٥٦هـ) معانٍ عدة، منها: المعروف كل ما يستحسنه العقل، وأما المنكر فهو: معصية الله. وقيل: كل ما يستقبحه العقل وينكره. وقيل: المعروف خدمة الحق، والمنكر صحبة النفس. وقيل: المعروف إيثار حق الحق، والمنكر اختيار حظ النفس. وقيل: المعروف ما يزلفك إليه، والمنكر ما حجبك عنه. (ابن داود، ١٩٩٦).

وحكم هذا المبدأ واجب في الشريعة الإسلامية على العموم، متعيّن على المكلفين بحسب القدرة، يقول الغزالي: "وأما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو من أصول الدين، وهو واجب." (الغزالي، ٢٠١٤).

وفي المدرسة الحنبلية خاصة حظي هذا المبدأ باهتمام واسع تأليفًا وتطبيقًا، فمن المؤلفات الحنبلية في هذا الموضوع كتاب ابن أبي الدنيا (٢٠٨-٢٨١هـ) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأبي يعلى الفراء (٣٨٠-٤٥٨هـ)، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لعبد الغني المقدسي الجماعيلي (٥٤١-٦٠٠هـ)، والكنز الأكبر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لعبد الرحمن بن أبي بكر بن داود الحنبلي الدمشقي الصالحي (٧٨٢-٨٥٦هـ).

بالإضافة إلى ذلك، فقد أودعوا ضمن كتبهم بحوثًا مطولة في تناول هذا المبدأ، فنجد أبا عبد الله ابن مفلح قد خصص لبحث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الجزء الأول من كتابه الآداب الشرعية، بما يقارب مئةً وعشرين صفحة، وهو مليء بالفوائد، مشحون بالعلم، كما ألّفوا تآليف موجهة إلى الحكام والأمراء في بيان ما عليهم من الفرائض الشرعية في هذا الجانب، وذلك مثل :الأحكام السلطانية للقاضي أبي يعلى، والسياسة الشرعية لابن تيمية (٦٦١-٧٢٧هـ)، والطرق الحكمية لابن القيم (٦٩١-٧٥١هـ).

ونجد أن ابن مفلح، لما يترجم لأصحاب ابن حنبل (١٦٤-٢٤١هـ)، يخصّ ميزةً فيهم غير الزهد والصلاح؛ وهي أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، بل يستخدم صيغة مبالغة، فيقول، لما ترجم لأبي الحسن العكبري مثلًا: "وكان شيخًا صالحًا زاهدًا، أمّارًا بالمعروف، نهّاءً عن المنكر." (ابن مفلح، ١٩٩٠).

وقد عُرفت المدرسة الحنبلية بهذه الميزة الإصلاحية، وخاصة في الناحية الاجتماعية، فلم يكن مبدأ الأمر بالمعروف حكرًا على المعتزلة، مع أنه كان أصلًا من أصولهم، بل سنجد في القصص التي يعرضها مقدسي، وخاصة عن ابن عقيل، ملمحًا واسعًا على خصوصية هذا المبدأ عند الحنابلة.

Articles in Press

**المطلب الثاني: نظرة الاستشراق الجديد إلى مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المدرسة الحنبلية**

ضمّن المستشرقون في دراساتهم حديثًا حول هذا المبدأ؛ فنجد في كتاب جولدتسيهر (١٨٥٠–١٩٢١م) العقيدة والشريعة في الإسلام تناولًا للمبدأ باعتباره جانبًا من الرقابة الاجتماعية والدينية في الإسلام، ونجد كذلك جوزيف شاخت (١٩٠٢-١٩٦٩م) في كتابه مدخل إلى الفقه الإسلامي إشارات إلى دور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كضابط قانوني وأخلاقي، وناقش كيفية تطبيقه في النظم الإسلامية المبكرة وعلاقته بالحسبة والمؤسسات الدينية.

كما تطرق هنري لاوست إلى الحديث عن المبدأ في سياق كتابه نظريات شيخ الإسلام ابن تيمية في السياسة والاجتماع، فتناول هذا المبدأ كجزء من دراسته لفكر ابن تيمية، مبينًا دوره في تنظيم المجتمع الإسلامي، وقرن بين هذا المبدأ والتضامن الاجتماعي، واعتبر أن التضامن في الإسلام ليس مجرد شعور أخلاقي، بل له تجليات مؤسسية مثل بيت المال، الذي كان يُستخدم لدعم الفقراء وتحقيق التضامن والتوازن الاجتماعي.

ويذكر لاوست أن كل فرد في الجماعة ملزم بتصحيح كل ما يدخل في دائرة تأثيره الشخصي ويراه مخالفًا للشريعة، وذلك إما بيده إن استطاع، وإما بقوله، وإذا عجز فبقلبه، وكل فرد ملزم بتقديم النصيحة لأخيه، والتوجيه الأخوي (الوعظ)، والدعوة الصادقة، وهذه الدعوة مهمة وواجبة على كل فرد في حدود إمكانياته ومصلحته من أجل تحقيق تماسك الجماعة.(لاوست، ١٩٧٩)

كما اهتم جورج مقدسي في كتبه بالحديث عن هذا المبدأ، فذكر قصصًا جرت مع ابن عقيل تفيد أهمية عمله به، وقد اعتمد مقدسي في القصص التي أوردها عن ابن عقيل على كتابه الفنون، وما نُقل عنه واستشهد به المؤلفون من بعده، وخاصة ما ذكره ابن الجوزي في تلبيس إبليس، والمنتظم، وغير ذلك من الكتب التي أحالت إلى الفنون، وإلى كتابه المفقود الإرشاد.

كما أدرج نيمرود هورويتز الحديث عن هذا المبدأ في سياق النقد الاجتماعي عند ابن حنبل، وأشار إليه كذلك كريستوفر ميلشيرت، وربطه بالتصوف، وذلك في دراسته الحنابلة والصوفية الأوائل.

وكتب الأستاذ المشارك بجامعة نوتنغهام جون هوفر عن المبدأ ضمن سياق الأخلاق الاجتماعية والأساس الديني لها عند ابن تيمية، وذلك في كتابه ابن تيمية: حياته وفكره، وأما أبرز الدراسات في الموضوع فهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الفكر الإسلامي لمايكل كوك؛ حيث ذكر أن هذا المبدأ واجب فردي ومسؤولية شرعية وأخلاقية، وذكر كذلك تطور هذا المبدأ وتطبيقاته في المدارس الفكرية الإسلامية المختلفة، وبين كيف كان الفرد المسلم يبادر بالتصدي للمفاسد الاجتماعية مستندًا في ذلك إلى واجبه نحو هذا المبدأ، وأفرد الحديث عن الحنابلة، واعتبر مدرستهم من أهم المدارس التي اهتمت بهذا المبدأ وتطبيقاته (كوك، ٢٠١٣).

فقد برز الدور الاجتماعي للحنابلة في أواخر القرن الثالث الهجري، ولم يحل القرن الرابع الهجري حتى كانوا يمثلون أعظم قوة شعبية في بغداد، إذ حملوا على عواتقهم مسؤولية إصلاح المجتمع، والدفاع عن مصالح الرعية، والتصدي لكل صور الفساد الذي ساد الحياة كافة خلال تلك الحقبة... وقد كان هذا الدور المهم الذي قاموا به محاولة شعبية لملء الفراغ الذي خلفه غياب الدولة، وانشغالها بصراعاتها (أبو ستة، ٢٠١٤).

ويرى كوك أن هذا النشاط الحنبلي في هذه الفترة يرجع إلى ازديادهم زيادة ملحوظة، فينقل عن الجغرافي المقدسي أن الحنابلة والشيعة كانوا يشكلون في النصف الثاني من القرن الرابع أغلبية سكان بغداد، وهذه الكثرة عملت على زيادة ثقتهم بأنفسهم (كوك، ٢٠١٣).

وقد بيّن ابن الأثير (٥٥٥-٦٣٠هـ) هذا النشاط الحنبلي وما عظم من أمرهم، فقال: "وفيها عظم أمر الحنابلة، وقويت شوكتهم، وصاروا يكسبون من دور القواد والعامة، وإن وجدوا نبيذًا أراقوه، وإن وجدوا مغنية ضربوها وكسروا آلة الغناء، واعترضوا في البيع والشراء، ومشى الرجال مع النساء والصبيان، فإذا رأوا ذلك سألوه عن الذي معه من هو، فأخبرهم، وإلا ضربوه وحملوه إلى صاحب الشرطة، وشهدوا عليه بالفاحشة" (ابن الأثير، ١٩٩٧).

وأوضح هورويتز كيف أن حنابلة بغداد، لما رأوا أن الخلافة غير قادرة على حماية العقائد السنية، فوقفت عاجزة أمام الحركات الشيعية، قاموا بوضع أيديولوجيا تنص على النشاط الأخلاقي في المجال العام، فلقد كان الحكام متوقفين عن قمع مثل هذه الانحرافات، فشعر الحنابلة بالمسؤولية تجاه المجتمع، إذ لا بد من الوقوف لمنع السلوك غير الأخلاقي.

Articles in Press

ويؤكد مقدسي أهمية هذا المبدأ في الإسلام، وأن على كل مسلم أن يطبقه لئلا يكون هو نفسه عونًا لوقوع المنكر، فيجب أن يظهر امتعاضه لكل ما يخالف هدي الإسلام، كما يتنبه إلى أن هذا المبدأ يتعلق بخلافة الإنسان على الأرض، ويقتضي ذلك أنه إذا رأى المسلم أخاه يحيد عن الأوامر الإلهية ردّه عن ذلك (مقدسي، ٢٠١٨).

وينتقل مقدسي، بعد بيانه لأهمية هذا المبدأ، إلى الحديث عن شروط الإنكار عند ابن عقيل، فذكر أنه قد رُوي عنه أكثر من رواية فيما إذا كان من شرط إنكار المنكر غلبة الظن في إزالته، ويرجح القول بأنه ليس شرطًا، كما أشار إلى مسألة العلم بالفعل الواقع من أخيه المسلم، إن كان جائزًا في الشرع أم لا، فلا يحل له عند ذلك الأمر والنهي عند جهله بالحكم، وذكر مقدسي شرطًا آخر، وهو أن يكون الآمر عاملًا بما يأمر به، وكافًا عما ينهى عنه.

وذكر ميلشيرت كذلك شروط مبدأ الأمر نقلًا عن الخلال، فقد بيّن أنه يشدد على الترفق بالناس، واجتناب العنف، والنصح بالسر لا بالعلن (ميلشيرت، ٢٠٢٣).

أما تطبيقات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد ذكر مقدسي قصصًا متعددة قمت بإفراد كل منها إلى جانب معيّن تنطق القصة عنه، وذلك على النحو الآتي.

**أولًا: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنقد الاجتماعي**

يذكر مقدسي أن ابن عقيل يربط بين مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبين الزهد، وهذا تمامًا ما تنبه له هورويتز، لما ذكر أن ابن حنبل قاد حملة ضدّ الملذات الحسية؛ فالموسيقى والألعاب والملذات الجسدية، كارتداء الثياب الحسنة، تُفسَّر باعتبارها موضوعات للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإن هذا التداخل بين الزهد المتعلق بالذات، والأمر المتعلق بالآخر، أظهر العديد من الأسئلة، منها: (أين، ومتى، وكيف) يتم تعامل المرء مع متجاوزي الشرع أو مخالفيه؟ (هورويتز، ٢٠١١).

فينقل مقدسي عن ابن عقيل أن "أبا بكر الأقفالي" إذا نهض في إنكار منكر أخذ معه مشايخ لا يأكلون إلا من صنعة أيديهم، ولا يأخذون الصدقة، ولا يدنسون بقبول عطاء. كما أنه أنكر على العلماء الانغماس في الماديات ومخالفة الشرع في اللباس، فحين رأى فقيهًا خراسانيًا عليه حرير وخواتم من ذهب شنّع عليه فعلته (مقدسي، ٢٠١٨).

فالفرضية المشتركة بين ربط الزهد بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي أن الملذات الحسية أو المتع تؤدي إلى الانحلال الأخلاقي، فكان الزهد هو نقطة الانطلاق، فممارسة إنكار الذات، ومنع الآخرين من التمتع بالملذات الحسية، يدلان على أن الزهد والأمر يرتبطان بمستوى أخلاقي واحد (هورويتز، ٢٠١١).

وهذا التهذيب الأخلاقي الذي ربط بين الزهد والأمر، كما يقول هورويتز، جعل جمهور الحنابلة يشعرون بأنهم مختلفون عن سائر المؤمنين، وبأنهم متفوقون أخلاقيًا على غيرهم، فممارسة نقد الآخرين والتدخل في شؤون الناس ممن حولهم قد أوجدا نوعًا من الشعور بـ"النحن" و"الهم" في محيط الحنابلة، وهكذا فإن الزهد المعتدل ومبدأ الأمر قد ساهما في ترسيخ الهوية الجماعية الحنبلية، كما أن النقد الذي وجهه ابن حنبل وأتباعه إلى الناس في مجتمعاتهم كان تعبيرًا عن قيم الزهد وقواعد السلوك التي شكلت ممارستهم لطقوس العبادات (هورويتز، ٢٠١١).

كما ربط ميلشيرت الزهد بمبدأ الأمر، وكيف كان الزهاد من أوائل من قاموا بتطبيق هذا المبدأ في المجتمع الإسلامي، ويشير إلى أن ابن حنبل قد عدّ "ابن أبي ذئب" (٨٠-١٥٩هـ) أفضل من "مالك" (٩٣-١٧٩هـ)، لأنه أمر ونهى الخليفة أبا جعفر، بينما صمت مالك. (ميلشيرت، ٢٠٢٤).

وكلام ابن حنبل كما أورده الذهبي (٦٧٣-٧٤٨هـ): "قال أحمد بن حنبل: بلغ ابن أبي ذئب أن مالكًا لم يأخذ بحديث: «البيعان بالخيار»، فقال: يستتاب، فإن تاب، وإلا ضُربت عنقه. ثم قال أحمد: هو أورع، وأقول بالحق من مالك" (الذهبي، ١٩٨٥).

ولم يكن مبدأ الأمر خاصًا بتوجيه من هم خارج الجماعة، بل إن ابن عقيل، كما أورد مقدسي، لم يكتفِ بنقده الاجتماعي لأساليب الحياة التي كانت في عصره، أو نقده لأصحاب البدع من المذاهب الأخرى، بل توسع حتى قام بنقد أصحابه من المذهب؛ إذ إنه يرى أنهم ظلموا المذهب لما تركوا المشاركة في التدريس بكليات الفقه، وخرجوا إلى طريق التعبد والزهد، وانقطعوا عن التشاغل بالعلم، وهذا مَلفتٌ هام من صور الأمر بالمعروف، فهو يحث أصحابه على تولي القضاء وغيره من الولايات للتدريس، فكان واضحًا وجريئًا في نقده (مقدسي، ٢٠١٨).

Articles in Press

ونقل عنه ابن رجب (٧٣٦-٧٩٥هـ): "هذا المذهب إنما ظلمه أصحابه؛ لأن أصحاب أبي حنيفة والشافعي إذا برع واحد منهم في العلم تولى القضاء وغيره من الولايات، فكانت الولاية سببًا لتدريسه واشتغاله بالعلم، فأما أصحاب أحمد فإنه قل فيهم من تعلق بطرف من العلم إلا ويخرجه ذلك إلى التعبد والتزهد؛ لغلبة الخير على القوم، فينقطعون عن التشاغل بالعلم" (ابن رجب، ٢٠٠٥).

كما أورد مقدسي أن ابن عقيل عمل على انتقاد معلميه وشيوخه عملًا بالمبدأ؛ ومن ذلك أن الشيخ الذي لقّنه القرآن كان يمسك عن الكلام في رمضان، ويخاطب بآي القرآن في حوائجه، فأنكر عليه ذلك؛ إذ إن هذا قرآن عزيز جاء لبيان الشريعة (مقدسي، ٢٠١٨).

**ثانيًا: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مواجهة الاستبداد السياسي**

لم يقف هذا المبدأ ليكون قيمة اجتماعية فحسب، بل ينسحب ليكون قيمة سياسية يقف فيها المسلم منكرًا على أهل السياسة والسلطان جورهم وظلمهم وانحرافهم عن منهج الشرع، فلا يعني الخوف من السلطان وجوره الكفّ عن نصحه ووعظه؛ بل أفرد ابن داود الحنبلي بابًا في كتابه الكنز الأكبر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حول وجوب وعظ خواص الأمة السلطان سرًا، أفضل منه جهرًا، وكتب في كيفية الإنكار على السلطان.

وإن كان ابن حنبل ومنهجه واضحًا من السلطة، وهو اعتزالها، بل لم ينشغل في إصلاحها إلا في حدود ضيقة جدًا، إلا أن أتباعه، وخاصة الحنابلة المتأخرون في القرنين الرابع والخامس الهجريين، اتخذوا أسلوبًا مغايرًا في تعاملهم مع السلطة، ولكن، بشكل عام، فإن الخط الواضح للحنابلة هو النصح والوعظ، لا الثورة والسيف.

وقد أشار هورويتز في دراسة حول علاقة الحنابلة بالشيعة إلى ما ذكره ابن الأثير في قوة الحنابلة في القرن الرابع الهجري، وقيامهم بالتصدي للفواحش والبدع والمنكرات، وهذا على سبيل النقد الاجتماعي، كما عارضوا السلطة، وحدثت توترات بينهم وبين البلاط في كثير من الأحيان، وهذا هو الجانب السياسي.

ويرى ميلشيرت أن قيام الحنابلة بهذا المبدأ يرجع إلى أنهم استمدوه من طبقة النساك الذين ظهروا قبيل نشأة التصوف التقليدي، فالصوفية الأوائل هم أول من اشتهروا بإعمال هذا المبدأ وبتحدي السلطة السياسية القائمة، في حين أن الحنابلة لم يكن لهم تاريخ طويل في إعمال هذا المبدأ، كما يقول إن ابن حنبل تضمّنت مسائله الفقهية أقسامًا فرعية تتعلق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكنها عُنيت بإصلاح الأفراد، لا التشنيع على الحكام أو الاستعانة بهم لتغيير المنكر (ميلشيرت، ٢٠٢٣).

ومع موافقتنا لميلشيرت بأن ابن حنبل كان متحفّظًا في التعامل مع السلطة، غير أن موقف أصحابه تطور فيما بعد، كما هو الحال في حنابلة بغداد وقوتهم في القرن الرابع الهجري، وكذا لا نوافق ميلشيرت في أن الحنابلة استمدّوا هذا المبدأ من الصوفية، بل إن كان هنالك من ربط بين مبدأ الأمر بالمعروف ومعارضة السلطة قبل الصوفية فهم الخوارج، لذلك لا أرى أن الحنابلة استمدّوا المبدأ في إنكارهم على السلطة من الصوفية، بقدر ما استدعت ظروفهم التاريخية وتطور رؤيتهم للمبدأ هذا السلوك الذي لم يتبعه المؤسس ابن حنبل.

فقد تضاءل مفهوم الأمر بالمعروف كصيغة، أو كمبدأ سياسي، عند ابن حنبل، كما يقول هورويتز، كما أن ابن حنبل انصرف عن الفهم السياسي المرتبط بهذا المفهوم حين يُستخدم لإضفاء الشرعية على الثورة أو انتقاد الحكام، وهو بهذا يطرح جانبًا المحتوى أو المضمون السياسي السائد لمفهوم الأمر، ويؤكد بموقفه انتقاد الأفراد الذين ينحرفون عن قاعدة الأمر أو يتجاوزون قواعد معينة من السلوك الزهدي (هورويتز، ٢٠١١).

وعلى الرغم من أن ابن حنبل كان يوجّه المبدأ نحو المجتمع، وتطور مع أتباعه كصيغة سياسية، غير أن صياغة أتباعه لم تخرج عن النصح الأخلاقي للحكام، مما عمل على حدوث توتر بين الطرفين في بعض الأحيان، كما لم تتجاوز تلك الصيغة القول بالثورة، فكما يقول هورويتز، فإن مبدأ الأمر قد مرّ بعدد من التغيرات في الفكر الإسلامي؛ إذ إننا لاحظنا، عند استطلاع وتقصي هذا المفهوم، أن تفسير الخوارج والمعتزلة والزيدية للأمر كان محاولات لإضفاء الشرعية على الثورات على الحكام الظلمة، فقد طورت هذه الطوائف أيديولوجيا للنشاط السياسي يتعلق بالعصيان والخروج على الخليفة (هورويتز، ٢٠١١).

في حين ذهب الحنابلة مذهبًا معاكسًا، يسميه كوك "نزعة الموادعة النسبية"؛ حيث إن ابن تيمية يقرّر أنه لا يجوز إنكار المنكر بما هو أشد منه نكارة، فالقيام على السلطة يشكل فسادًا أعظم من الفساد الموجود.

يقول ابن تيمية حول ذلك: "لا يجوز إنكار المنكر بما هو أنكر منه، ولهذا حرم الخروج على ولاة الأمر بالسيف؛ لأجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن ما يحصل بذلك من فعل المحرمات، وترك واجب أعظم مما يحصل بفعلهم المنكر والذنوب" (ابن تيمية، ٢٠٠٤).

Articles in Press

وعند ذكر القصص التي أوردها مقدسي سنجد هذه العلاقة مع السلطة، وسيتبين أنها لم تكن ذات طابع ثوري عنيف بقدر ما كانت جهرًا بالقول والنصح، إما في السر أو العلن، ومن هذه القصص وقوف رجل من عامة الناس أمام الخليفة أبي جعفر المنصور ليعظه، وقد قطع عليه خطبته، كما أورد قصة رجل آخر قام إلى الخليفة عبد الملك بن مروان، بعد إنهائه خطبة الحج، وقال له: "مهلًا، مهلًا! إنكم تأمرون، ولا تأتمرون، وتنهون، ولا تتناهون، وتعظون، ولا تتعظون".

وفي نقده للحالة السياسية أشار إلى الخلل في تطبيق هذا المبدأ، ومن ذلك أن أحد كبار عمال السلاجقة، ويسمى "بِهروز"، كان يمنع أن يجتمع في السفينة النساء والرجال، وجمع بينهم في الماخور!

كما أن من الخلل في تطبيق هذا المبدأ عند الحاكم أن تكون العقوبة غير متناسبة مع الجرم المرتكب، وبذلك يفقد الحاكم هيبته، فما دام الحاكم يطبق الحدود والعقوبات بوصفها وسائل من وسائل مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فعليه أن يلتزم بالشروط والقواعد.

وقد أوضح ابن عقيل كيف تُصار العقوبة، فيقول: "لا ينبغي للملك، ولا لصدر من الصدور، أن يظهر من الغضب إلا بحسب ما أعد له من العقوبة، فإن كانت بطشته دون غضبه، حقر غضبه، واستهين بسخطه، وانكشف عجزه. وقد قال الناس في ذلك: إذا ما غضب السوقي، فالحبة ترضيه" (ابن عقيل، ١٩٧٠).

وهذا السبب في تعدي السلطان جعل ابن حنبل يتحفظ على الاستعانة به على مرتكبي المنكر، فقد ذكر أن جارًا له كان يفعل منكرًا، فسُلّم إلى السلطان، فجلد ثلاثين جلدة، ومات على إثرها! وقد سُئل ابن حنبل: الرجل يأمر بالمعروف فلا يقبل منه، فترى له إذا رأى منكرًا، وهو يعلم أنه لا يقبل منه، أن يسكت ولا يتكلم؟ قال: إذا رأى المنكر فليغير بما أمكنه. قلت له: فإن أمره ونهاه، وتقدم إليه في ذلك، فلم يقبل منه، ترى أنه يستعين عليه بالسلطان؟ قال: أما السلطان فما أرى ذلك" (الخلال، ٢٠٠٣).

وهذه الأمثلة تبيّن ما أشار إليه كوك في موقف ابن حنبل؛ فلا مواجهة للسلطان، ولا تعاون معه، ويبدو مذهبه، بهذا المعنى، بعيدًا كل البعد عن الساسة، ويرى كوك أن هذه الصياغة لهذا المبدأ عند ابن حنبل تعد صياغة مدنية بنحو مميز، فلا يرى استخدام السلاح، ولا مواجهة السلطان، كما نلاحظ أن عنده نزعة إلى ترك فاعل المنكر وشأنه إذا لم يمتثل، والاكتفاء بإنكار معصيته في القلب (كوك، ٢٠١٣).

لكن قد لا نجد هذه الصياغة لمبدأ الأمر عند ابن حنبل -المتحفظة من السلطة -تنسحب إلى ابن عقيل؛ فقد تنبّه مقدسي إلى أن ابن عقيل كتب لكبار مسؤولي الدولة ينصحهم في أمور دينهم، أو منتقدًا تقصيرهم، فيذكر مقدسي رسالته إلى الوزير الروذراوري، ونظام الملك، وللسلطان ملكشاه، الذي أرسل له رسالة لما علم أن الباطنية قد أفسدوا عليه عقيدته، وقد نقل مقدسي الرسالة عن ابن الجوزي في المنتظم (مقدسي، ٢٠١٨).

وقد طال نقد ابن عقيل لأهل السلطان فسادهم المالي؛ فذكر مقدسي أن ابن عقيل انتقد الخليفة الوليد بن يزيد لما أعطى أحد الشعراء خمسين ألف درهم، وجاريتين، على مدحه إياه، فرأى أن هذا غاية القدح والتبذير في بيت مال المسلمين.

ويذكر مقدسي أن ابن عقيل كان يستهجن فعل الفقهاء الذين يمالئون أصحاب السلطة، ويفتونهم بما يعزز سياساتهم بغية نصرهم لهم، وبفعل الفقيه ذلك فإنه يتخلى عن استقلاليته لصالح السلطة الحاكمة، فيصير عاجزًا عن العمل بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد انتقد ابن عقيل فقيهًا خراسانيًا لبيعه دينه بعرض من الدنيا. (مقدسي، ٢٠١٨).

والقصة كما أوردها ابن الجوزي: "رأيت فقيهًا خراسانيًا عليه حرير وخواتم من ذهب، فقلت له: ما هذا؟ فقال: خلع السلطان، وكمد الأعداء، فقلت له: بل هو شماتة الأعداء بك.. يا مسكين، خلع عليك السلطان، فانخلعت به من الإيمان، وقد كان ينبغي أن يخلع بك السلطان لباس الفسق، ويلبسك لباس التقوى" (ابن الجوزي، ٢٠٠١).

**ثالثًا: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مواجهة البدع والشركيات والاجتهادات الخاطئة**

يتنبه مقدسي إلى أن ابن عقيل استخدم مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في بيان الشريعة ومواجهة البدع والشركيات، فنجد أنه وقف على كتب ابن الراوندي، وأظهر ما فيها من بدعيات وازدراها. قال ابن عقيل: "وعجبي كيف عاش وقد صنف الدامغ، يزعم أنه قد دمغ به القرآن، والزمرد يزري به على النبوات، ثم لا يقتل!" (ابن الجوزي، ١٩٩٢).

Articles in Press

كما انتقد ابن عقيل بعض الممارسات الصوفية التي كانت في زمنه، كالجبر، والإفراط في الزهد، ومجانبة الأهل، وإهمال العيال، والرقص، وغير ذلك، ودعا إلى اتباع الشرع.

ومما ينقله مقدسي عن ابن عقيل في ذلك: "أعجب أموركم في المتدين إما أهواء متبعة أَوْ رهبانية مبتدعة، بين تجرير أذيال المرح في الصبا واللعب، وبين إهمال الحقوق وإطراح العيال واللحوق بزوايا المساجد، فهلا عبدوا عَلَى عقل وشرع" (ابن الجوزي، ٢٠٠١).

وبذلك يتضح أن الحنابلة طرحوا شكلًا لمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يتجاوز النظري إلى العملي ليقرن بينهما، وجعلوا من هذا المبدأ أداة ناقدة للمجتمع الذي يتفشى فيه الفساد ويبعد عن مراد الله، وكذلك أداة ناقدة للسلطة، طالما لم تلتزم بالشرع، فتكون صورة الصحابي أبي بكر الصديق قدوة لهم" :أطيعوني ما أطعت الله فيكم".

وعلى الرغم من اهتمام المدرسة الحنبلية بهذا المبدأ، والشعور بالمسؤولية الأخلاقية تجاه المجتمع، فإن الحنابلة لا يسعون إلى تحقيق مجتمع مثالي، بل كان سعيهم لمواجهة المنكر بقدر الاستطاعة، وقد تبيّن معنا من أقوال ابن حنبل الكفّ عن صاحب المنكر إذا لم يستجب للنصيحة.

وهذا خلاف لما تصوره بعض المستشرقين؛ فمثلًا، في كتاب عالم في الظل، يظهر الفهم الخاطئ للمستشرقين لابن القيم؛ فتصوروا أن ابن القيم يأمل في إعادة تأسيس مجتمع كاريزمي، أي مجتمع فاضل يلتزم بالأخلاقيات الإسلامية المطلقة، فابن القيم يأمل بتحقيق الحلم اليوتوبي (المثالي)، مراعاةً للأحكام الشرعية كما راعاها الجيل الأول من الإسلام.

فإن ابن القيم وغيره من الحنابلة لا يقصدون إيجاد مجتمع مثالي، بل حتى الجيل الأول من الإسلام كان فيه مساوئ أخلاقية، فهذا طبع البشر، فالإسلام يتوجه بشريعته نحو طبيعة يتراوح فيها الخير والشر، ويحثّ على اجتناب الشر قدر الاستطاعة، كما أن على الفرد المسلم أن ينظر في المصالح والمفاسد حين يريد تطبيق الأمر بالمعروف، وإلى ذلك حثّ ابن تيمية، وقد أشار جون هوفر إلى رأي ابن تيمية في ذلك، فقال: "إن هذا المبدأ لدى ابن تيمية لا يستلزم أن تواجه المخالفات في كل حالة ترتكب فيها. إن العالم بعيد عن الكمال. إن هاجس القضاء على الضعف الأخلاقي بالكلية قد يؤدي بسهولة إلى مشاكل أسوأ .يجب على المرء بدلًا من ذلك النظر في المصالح والمفاسد العامة قبل أي تدخل... والوضع الحالي للإنسانية فاسد بصورة واضحة، وتحقيق أقصى المصالح من خلال الالتزام التام بالشرع ليس ممكنًا تمامًا" (هوفر، ٢٠٢٠).

كما أن مبدأ الأمر، من الناحية الفقهية أو الاجتماعية أو السياسية في المدرسة الحنبلية، لم يقف عند ما ذكره ابن حنبل، بل وجدنا تطورًا في صيغة المبدأ، وعلى الرغم من تطوره، فإن علاقته مع السلطة لم تتجاوز أن تكون ثورة ضدها، بل تراوحت العلاقة الحنبلية مع السلطة بين التوتر والتعاون، كما بيّن هورويتز، كما أن الصياغة الحنبلية كانت مهتمة بالجانب الديني والاجتماعي، وبرز الحنابلة في هذا الدور، خاصة في بغداد في القرن الرابع الهجري.

## المبحث الثاني: موقف جورج مقدسي من أهمية الوعظ في المدرسة الحنبلية

### المطلب الأول: إسهامات المدرسة الحنبلية في فنّ الوعظ

يشير مقدسي إلى أنّ الوعظ كان نتاجًا للتأمل في القرآن والحديث، إذ كانت للوعظ جذور عميقة في الكتاب والسنة، وقد عيّن ابن الجوزي، في ثنايا مصنّفه عن فن الوعظ، النبي صلى الله عليه وسلم بوصفه أول واعظ، فهو الذي أُمِر في القرآن بالوعظ، ثم سمّى ابن الجوزي ستة عشر صحابيًا، فيهم الخلفاء الراشدون، ثم ذكر الوعاظ البارزين في مختلف أصقاع الإسلام وحواضره (مقدسي، ٢٠٢١).

ومن الآيات الكريمة التي ورد فيها هذا الاصطلاح، قوله تعالى :﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ﴾ (النساء: ٦٣).

ويذكر مقدسي أن الوعظ نتاج لمذهب أهل الحديث، الذين كان الحنابلة في صفوفهم، إضافة إلى أن هذا الفن نشأ نتاجًا للتأمل في القرآن والسنة، ويقرن هذه النشأة للوعظ بالتصوف، الذي ظهر، بحسب مقدسي، على يد أهل الحديث أيضًا، ونشأ نتيجة التأمل في القرآن والسنة كذلك، ويرى أن ارتباط الزهد بالوعظ جعل مسافة بين الواعظ والسلطة، لينعم الواعظ باستقلالية أكبر عند انتقاد سياستها.

ويتحدث مقدسي عن الزهد والتصوف الزهدي بوصفه سمة لأهل الحديث، فيستخدم المصطلحين (الزهد والتصوف) بشكل تبادلي، بلا تمييز، لأنه يريد جعل التصوف وكأنه علامة لأهل الحديث الذين كانوا وعّاظًا وزهادًا، وذلك اتساقًا مع أطروحته حول الحنابلة والصوفية.

وسنجد اهتمامًا واسعًا للمدرسة الحنبلية بالوعظ؛ حيث تركوا أثرًا كبيرًا في مجتمعهم، وكان ابن حنبل يذكر ألفاظًا كثيرة تدل على الحث عليه، وعن حسن حال الوعاظ، وما قد يترتب على وعظهم من الفوائد.

وقد أشار الرحيباني (١١٦٠-١٢٤٣هـ) إلى أهمية الوعظ عند ابن حنبل والتشجيع عليه، فقال:

"يُعْجِبُنِي قَاصٌّ إِذَا كَانَ صَدُوقًا يَذْكُرُ أَخْبَارَ الْأَوَائِلِ عَلَى وَجْهِهَا، لِمَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ مِنَ الِاعْتِبَارِ. يُعْجِبُنِي الْقَصَّاصُ؛ لِأَنَّهُمْ يَذْكُرُونَ الْمِيزَانَ وَعَذَابَ الْقَبْرِ وَمَا يَكُونُ فِي الْبَرْزَخِ." (الرحيباني، ١٩٩٤).

وقد استخدم ابن حنبل هنا لفظ القاصّ لا الواعظ، وقد أشار مقدسي إلى أن هذين المصطلحين، إضافة إلى مصطلح "المذكّر"، غالبًا ما جاءت مشوشة، ويحيل إلى ابن الجوزي الذي عالج هذا الالتباس، فصنف كتابًا في الوعظ أسماه كتاب القصاص والمذكرين.

وعند التحقيق في كلام مقدسي، في أن ابن الجوزي يذكر أن هذه المصطلحات تستعمل تبادليًا عن طريق الخطأ، فإني وجدت ابن الجوزي يذهب إلى أن القاصّ أصبح يطلق على الأحوال الثلاثة، فلا بأس في ذلك، بل إن القصص فن يطلق على التذكير والوعظ.

يقول ابن الجوزي في جواب السائل عن كلام السلف في مدح القصاص وذمهم: "إن لهذا الفن ثلاثة أسماء: قصص، وتذكير، ووعظ. فيقال: قاص، ومذكر، وواعظ." (ابن الجوزي، ١٩٨٨).

ويرى مقدسي أن سلسلة من الوعاظ العظام اشتهروا في التقليد الحنبلي بالوعظ في فترة امتدت من القرن الرابع الهجري وحتى السادس، فأسفر كل قرن من تلك القرون الثلاثة عن واعظ عظيم، وهم: ابن سمعون (٣٠٠-٣٨٧هـ)، وابن عقيل، وابن الجوزي. ووصل الوعظ، بوصفه فنًا من الفنون، إلى ذروة تطوره على يد ابن عقيل في القرن الخامس، وابن الجوزي في القرن السادس.

وابن سمعون، في نظر مقدسي، قد أسس الوعظ على أرض صلبة بوصفه حقلًا مستقلًا يُدرس في حلقات الجوامع والمساجد والكليات، ونجد تلميحًا عند مقدسي إلى أن الوعظ كان أداةً للإنكار على السلطة؛ فلما أراد الأمير البويهي عضد الدولة وضع حدّ للشغب الدائر بين السنة والشيعة في مستهل حكمه في بغداد، أصدر مرسومًا ينهى فيه عن الوعظ في المساجد وفي شوارع المدينة، غير أن ابن سمعون تحدّى الأمير، ولم يتوقف عن الوعظ، بل وعظ الأمير نفسه لما استدعاه للمثول بين يديه. (مقدسي، *نشأة الإنسانيات*، ص٣٨٣)

كما يذكر مقدسي البربهاري (٢٣٣-٣٢٩هـ)، الذي كان له أثر كبير في المجتمع البغدادي، مع أن كتب التراجم لم تنعته بالواعظ، غير أن نشاطه الديني السياسي غدا جزءًا لا يتجزأ من الوعظ والزهد.

وفي ترجمة البربهاري يذكر الذهبي أنه كان "قوّالًا بالحق... لا يخاف في الله لومة لائم ".(الذهبي، ١٩٨٥). وهذه الشخصية الواضحة والجريئة جعلت الناس يتهافتون على مجلسه للاستماع إلى مواعظه التي يراها الجمهور صادقة؛ لأن صاحبها مشهود له بالعبادة، والمجاهدات في الدين، والوضوح، والرد على المبتدعة.

ويذكر مقدسي ابن عقيل، الذي أبان عن فلسفته الأخلاقية من خلال مواعظه التي أبرزت تدينه وتقواه، ويقول مقدسي إن هذه المواعظ تشير إلى صوفية غير معلنة، فأكثر الاستشهاد بالآيات القرآنية، وكان يحفظها عن ظهر قلب، وغالبًا ما كان يقوم بتجزئة الآيات، معتمدًا على علم مستمعيه وقارئيه ودرايتهم بالأجزاء الناقصة، كوسيلة تعليمية.

وفي القرن الخامس الهجري، الذي كان فيه عدد كبير من الكراسي الموقوفة على الحنابلة للوعظ المدرسي، يذكر مقدسي أبا محمد التميمي (٤٠١-٤٨٨هـ)، الذي كان له كرسيّ في جامع المنصور لتدريس الفقه والإفتاء والوعظ، وأقام مجلسه للوعظ في مناسبات دينية عند قبر أحمد بن حنبل، ويجتمع له الجم الغفير من الناس. (ابن أبي يعلى، ١٩٥٢).

**المطلب الثاني: وقوف مقدسي على انتقادات المدرسة الحنبلية للوعّاظ**

على الرغم من اهتمام المدرسة الحنبلية بالوعظ، حتى كثر فيهم الوعاظ، إلا أن تجربتهم الطويلة فيه جعلتهم يلاحظون آفات نتجت عن خروج الوعاظ عن أدب الوعظ وقواعده، وقد بيّن مقدسي هذه الانتقادات، وخاصة تلك التي أوردها ابن الجوزي وابن عقيل.

ومن هذه التجاوزات والممارسات الجاهلية -كما أسماها مقدسي- التي تقع للوعاظ ما نقله ابن الجوزي عن ابن عقيل، وهو تصوير الواعظ الخالق بصورة المخلوق. ولما حُكي لابن عقيل هذه الحادثة أخذته الغيرة والحمية من كلام الجهال على الله تعالى، وذكر أن ما تتصوره القلوب على أنه الله ما هو إلا صنم شكلته طبيعة الإنسان المادية، وما يشكله التوهم والشيطان. (مقدسي، ٢٠١٨).

والنص كما أورده ابن الجوزي: "قال ابن عقيل: أخذ بعض الوعاظ الأعاجم يقول: يا موسى، من تريد؟ قال: أخي هارون. يا محمد، من تريد؟ قال: عمي وأمي. يا نوح، من تريد؟ قال: ابني. يا يعقوب، من تريد؟ قال: يوسف. ثم قال: كلكم يريد مني؟ أين من يريدني؟ ثم احتد وصك الكرسي صكة، وقال: يا قارئ، اقرأ :﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾، فقرأ القارئ، وضج المجلس، وصعق قوم، وخرقت ثياب قوم بشعبذة ذاك، فاعتقد قوم أن ما ذكره لباب الحق وعين العلم" (ابن الجوزي، ١٩٨٨).

وبذلك فإن الجهال إذا وعظوا، في نظر ابن عقيل، كان ذلك سببًا في شيوع المنكر، وتفشي الجهل بالدين، والتعلق بالخرافات، لذلك فإن الذهبي يقول" :الوعظ فن بذاته يحتاج إلى مشاركة جيدة في العلم، ويستدعي معرفة حسنة بالتفسير".

وبذلك يتضح أن العلماء الحنابلة يؤكدون أهمية معرفة الواعظ بالعلوم الشرعية المختلفة، فهو قريب من العوام، ومن الطبيعي أن يسألوه في أمور دينهم ودنياهم، وقد يغتر الواعظ بمكانته فيجيب عن جهل وهوى، لذلك حرص العلماء على تنبيه الواعظ إلى أهمية العلم والاستزادة فيه.

ومن آفات الوعاظ التي ينقلها مقدسي عن ابن عقيل الإطالة في موعظتهم، واستشهد بقول أحمد بن حنبل" :لا أحب للقاص أن يملّ الناس، فلا يطيل الموعظة إذا وعظ (ابن عقيل، ٢٠١٨)".

ونجد أن ابن عقيل اتخذ شكلًا من السياسة الناعمة في وعظ السلاطين وأصحاب المكانة، فلا يتجرأ عليهم، وخاصة إن خشي على نفسه، وعلم منهم البطش والقوة، لذلك يذكر مقدسي إنكار ابن عقيل على الحسن البصري جرأته على الحجاج.

وسنجد ابن الجوزي قد اتخذ النهج نفسه، حيث كان له مجلس وعظي عند الخليفة يعظه وحاشيته، وعلى الرغم من أننا لا نجد في مواعظه نقدًا واضحًا وصريحًا للفساد الإداري الذي كان في الدولة، غير أن ابن الجوزي اتخذ أسلوبًا نقديًا مبطنًا، كالتذكير بالآخرة، ومغبّة الأعمال السيئة، فكان يلقي القصص التي تبين عاقبة المفسدين.

ومن الانتقادات التي أشار إليها مقدسي للوعاظ عند ابن عقيل الوعظ الذي يريد منه صاحبه حظًا من الدنيا، لذلك ربط ابن عقيل الوعظ بالتقشف والزهد والورع، فمن يطلب الدنيا ويلبس الفاخر من الثياب لن تستجيب القلوب لموعظته، بل يلمز ابن عقيل الوعاظ الذين يدخلون على السلاطين، فهؤلاء أدعى إلى ألا يتأثر الناس بسماعهم، يقول ابن عقيل" :لَا يَعْمَلُ الْوَعْظُ إِلَّا مِنْ مُتَقَشِّفٍ، مُتَزَهِّدٍ، مُتَوَرِّعٍ، مِنْ وَرَاءِ مُدَرَّعَةِ صُوفٍ، وَنَظَافَةِ جِسْمٍ، وَتَقْلِيلِ قُوتٍ، اشْتِغَالًا عَنِ الْبَدَنِ بِفَضَائِلِ النَّفْسِ كَالطَّبِيبِ الظَّاهِرِ الْحِمْيَةِ. فَأَمَّا مَنْ يَخْرُجُ بَطِينًا فَاخِرَ الثِّيَابِ، مُدَاخِلًا لِلسَّلَاطِينِ، فَكَيْفَ تَسْتَجِيبُ لَهُ الْقُلُوبُ) "(مقدسي، ٢٠١٨).

ولذلك، إن قصد العالم وجه الله فستؤثر موعظته في القلوب، وتكون كما ذكر ابن رجب" :سياطًا تضرب القلوب، فتؤثر في القلوب كتأثير السياط في البدن ".أما إذا كانت لحظٌ من الدنيا فإنها تدخل من الأذن وتخرج من الأخرى.

ويبيّن مقدسي كيف أنّ الوعظ اتُّخذ وسيلة لتحقيق أهدافٍ خاصة عند الوعاظ، فاستغلوا مكانتهم عند الناس، فحصل لهم ثراء فاحش، وقوة ونفوذ، وآثروا حظّ الدنيا على الآخرة، وذكر على ذلك مثالًا، وهو أبو عبد الله الشيرازي (ت: ٤٣٩هـ).

وعند تتبع المصدر الذي رجع إليه مقدسي، وهو تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٣٩٢-٤٦٣هـ)، ونقل عنه كذلك ابن الجوزي في المنتظم، سنجد القصة، وهي أن الشيرازي قدم بغداد وأقام بها مدة يتكلم على الناس بلسان الوعظ بطريقة الزهد، ويلبس المرقعة، ويظهر عزوف النفس عن طلب الدنيا، فافتتن الناس به لما رأوا من حسن طريقته، وكان يحضر مجلس وعظه خلق لا يحصون، وحصل له ببغداد مال كثير، ونزع المرقعة، ولبس الثياب الناعمة الفاخرة، وجرت له أقاصيص، وصار له تبع وأصحاب، ثم أظهر أنه يريد الغزو، فحشد الناس إليه، وصار معه من أتباعه عسكر كبير، ونزل بظاهر البلد من أعلاه، وكان يضرب له بالطبل في أوقات الصلوات، ورحل إلى الموصل، ثم رجع جماعة من أتباعه، وأنه صار إلى نواحي أذربيجان، واجتمع له أيضًا جمع، وضاهى أمير تلك الناحية." (الخطيب، ٢٠٠٢).

Articles in Press

ولم يقف استغلال الوعظ لأسباب مادية، بل كذلك تسبب في اتخاذه وسيلة لنشر صاحب المذهب مذهبه، ويقدّم مقدسي أبا نصر القشيري مثالًا على هذا الاستغلال للوعظ، وكيف أنه قدم بغداد للوعظ، فاتخذ من مجلسه ذريعة، فنصر مذهبه الأشعري، مما تسبب باضطرابات في بغداد، وقد عملت هذه الاضطرابات على إيقاف مجالس الوعظ أحيانًا من قبل السلاطين، فبعد فتنة القشيري مُنعت المجالس أربع سنين، ثم سُمح لها.

يقول ابن الجوزي" :أنه جمع الوعاظ في جمادى الآخرة في الديوان، وأذن لهم في معاودة الجلوس، وقد كانوا منعوا من ذلك منذ فتنة القشيري، وتقدم إليهم أن لا يخلطوا وعظهم بذكر شيء من الأصول والمذاهب" (ابن الجوزي، ١٩٩٢).

وقد ألمح مقدسي إلى أنّ أعمال الشغب والاضطرابات التي حدثت بين الحنابلة والأشاعرة قد جعلت ابن عقيل يترك مجلس الوعظ؛ إذ كان ابن عقيل يتكلم على المنبر بلسان الوعظ مدة، فلما كانت سنة خمس وسبعين وأربعمائة جرت فيها فتن بين الحنابلة والأشاعرة، فترك الوعظ واقتصر على التدريس.

وبذلك يتضح موقف الحنابلة من الوعظ، الذي يعدّ بابًا من أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وله شروط وضوابط يعمل الالتزام بها على استجابة الناس للموعظة، فيكون لها أثر في سلوكياتهم، فلا تكون الموعظة مجرد أقاصيص وأساطير تسيطر على الجمهور، وتنشر الجهل والسخف بينهم، وتشوه الحقائق الدينية، كما لا تكون لاستمالة أهل السلطان وطلب حظ عندهم، بل يُراد بالوعظ أن يكون لما وجد له، وهو ترغيب الناس وترهيبهم ووعدهم ووعيدهم.

كما أن الحنابلة لم يكونوا بمعزل عن الأحداث التي تعيشها المجتمعات الإسلامية، وخاصة أنهم حملوا على عاتقهم حفظ السنة، فتصدوا للبدع والمنكرات، وذلك قيامًا بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وتأتي هذه النتائج حول الاهتمام الحنبلي بالوعظ كما قدمها مقدسي متسقة مع مشروعه الذي طرح مراجعات حول النتائج الاستشراقية الكلاسيكية فيما يتعلق بالمدرسة الحنبلية، والتي لطالما أكدت على محدودية تأثير هذه المدرسة في التاريخ الإسلامي، إلا أن مقدسي يبرهن أنّ الحنبلية كان لها أثرًا واسعًا على الجانب الاجتماعي خاصة، والسياسي كحركة قوية ترجمت فهمها لمبدأ الأمر وفن الوعظ عمليًا، وذلك لدفع أهل الأهواء والفتن.

وممّا جعل الموقف الحنبلي قويًا وخاصة في القرن الرابع الهجري نشوء المدارس؛ فقد كان للمدرسة الحنبلية في بغداد أثر كبير في الوعظ والإرشاد، وهذه النتيجة كذلك متسقة مع رأي مقدسي الذي يذهب إلى أن الوعظ المدرسي كان وسيلة لأهل الحديث بشكل عام وللحنبلية بشكل خاص، وذلك لتحقيق رسالتهم الأخلاقية.

كما لا يمكن الحديث عن شكلٍ واحدٍ من الفاعلية الحنبلية الوعظية؛ فقد تبيّن أن البربهاري على سبيل المثال اتخذ منهج الشغب وجمع التلاميذ حوله منكرين على السلطة وعلى أهل المنكر، لكن لم يصل بهم الحدّ إلى القول بالخروج عن الحاكم أو استخدام السيف، في حين اتخذ ابن الجوزي منهجًا ناعمًا يعظ فيه السلطة بصورة مبطنة.

وأخيرًا يمكن لي القول بأن سبيل القوة والثورة ليس منهجًا حنبليًا، فالوسيلة التي جابه بها الحنابلة البدع والسلطة السياسية في بعض الفترات التاريخية كان من خلال الوعظ، فكانت الحنبلية حركة شعبية تمارس نشاطًا جماهيريًا واسعًا من خلاله، وكان هذا سببًا في احتشاد الناس لسماع وعظ ابن الجوزي، أو البربهاري، أو اتّباع الناس لجنازة لعالم من علماء هذه المدرسة، فقد كانوا يرون فيهم علماء مخلصين لم يكونوا بمعزل عمّا تعيشه المجتمعات الإسلامية، فكان مرادهم نصرة الدين، والقضاء على الفتن بالإرشاد والتوجيه.

## الخاتمة

### وفيها أهم النتائج التي خرج بها البحث

أولًا :إن الدور الاجتماعي للمدرسة الحنبلية الذي أشار إليه مقدسي فيه رد ضمني على النتائج الاستشراقية الكلاسيكية التي قدمت هذه المدرسة على هامش التاريخ والفكر الإسلامي.

ثانيًا :اهتمت المدرسة الحنبلية بتشكيل مجتمع إسلامي أخلاقي، واتخذت من مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أداة لتطبيق الرؤية الأخلاقية والشرعية للمدرسة.

ثالثًا :يوظف مقدسي العديد من القصص التي أوردها عن الحنابلة سياسيًا، فاتخذ مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أداة من أدوات مواجهة السلطة.

Articles in Press

رابعًا :على الرغم من الاهتمام الكبير للمدرسة الحنبلية بفن الوعظ، إلا أنهم قدموا انتقادات واسعة لهذا الفن، وقد أشار مقدسي إلى أبرز هذه الانتقادات، وهي كونه قد أصبح أداة للتكسب والتقرب من السلطة.

وفي نهاية هذا البحث أخرج بتوصيات، وهي:

أولًا :الاهتمام بالدراسات الاستشراقية وإظهار الفروق في النتائج بين الاستشراق الكلاسيكي والجديد.

ثانيًا :إعادة الوقوف على المصادر التاريخية وقراءتها ضمن سياقها التاريخي؛ لمعرفة الأسباب التي دفعت المؤلف إلى الحكم والخروج بنتيجة معينة.

**التعريف ببعض الشخصيات الواردة أسماؤهم**

كريستوفر ميلشيرت :أستاذ أمريكي وباحث في الإسلام، متخصص في الحركات والمؤسسات الإسلامية، وخاصة خلال القرنين التاسع والعاشر، وهو مؤلف غزير الإنتاج، وأستاذ الدراسات العربية والإسلامية في المعهد الشرقي بجامعة أكسفورد، وزميل في اللغة العربية في كلية بيمبروك، أكسفورد.

وقد نشر عدة كتب ومقالات مترجمة، منها:

- خصوم أحمد بن حنبل، دورية نماء، ترجمة محمد خضر، العددان ٨ و٩، ٢٠٢٠ .
- الحنابلة والصوفية الأوائل، دورية نماء، ترجمة أنيس مورو، المجلد ٧، العدد ١، ٢٠٢٣ .
- أحمد بن حنبل، ترجمة محمد عطوان، دار الروافد الثقافية، بيروت، ٢٠٢٤ .
- على تخوم التصوف، ط١، نماء للبحوث والدراسات، بيروت، ٢٠٢٤ .

مايكل كوك :هو مستشرق بريطاني وُلد عام ١٩٤٠، ويُعد من أبرز الباحثين المعاصرين في مجال الدراسات الإسلامية، ويشغل منصب أستاذ في جامعة برينستون الأمريكية. تخصص في دراسة التاريخ الإسلامي والفكر الإسلامي الكلاسيكي، وله عدد من المؤلفات المهمة، أشهرها كتابه حول مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

نيمرود هورويتز :هو أستاذ مشارك في دراسات الشرق الأوسط بجامعة بن غوريون، له العديد من الكتب والمؤلفات المتعلقة بالعالم الإسلامي، كما أفرد كتبًا ومقالات حول الحنبلية.

- أحمد بن حنبل وتشكل المذهب الحنبلي – الورع في موقع السلطة، ترجمة غسان علم الدين، الشبكة العربية للأبحاث، ٢٠٠١ .

وهذا الكتاب هو في الأصل أطروحة كتبها في التسعينيات بإشراف مايكل كوك (ولد: ١٩٤٠م) بجامعة برينستون، وهو يركز على ثلاثة مسائل: السيرة الشخصية لابن حنبل وطابعها الزهدي والنموذجي، والمحنة ودلالاتها الزمانية والتاريخية، والتفكير الفقهي لأحمد والحنابلة.

- المأمون والمحنة، ٢٠١٤ .وقد تُرجمت المقالة في كتاب :المرجع في علم الكلام، مركز نماء.

## الإقرارات الأخلاقية

تمّ إجراء هذه الدراسة وفقًا لمبادئ وقواعد البحث الأكاديمي، وقد التزمت بالمبادئ الأخلاقية الآتية:

- الأمانة في نقل المعلومات، وتوثيقها.
- الحياد والموضوعية.

## بيان توافر البيانات

تتوفر البيانات التي تمّ جمعها وتحليلها خلال هذه الدراسة عند الطلب من الباحثتان.

## التمويل

لم يتم تلقي أي تمويل لإجراء هذا البحث.

## تضارب المصالح

تؤكد الباحثتان عدم وجود أي تضارب في المصالح.

Articles in Press

## مساهمة الباحثة

- قامت سمر الفوالجة بجمع المادة وتصور الدراسة.
- عملت مروة خرمة على مراجعة المادة وتنقيحها والتعديل عليها.

## الموافقة على النشر

توافق الباحثتان على تقديم هذه الورقة البحثية للنشر، وبانتظار هيئة التحرير بعد عملية التحكيم، وتوافقان على نشرها، كما تؤكد الباحثتان أن هذا العمل لم ينشر سابقًا، ولم يقدم إلى أي مجلة أخرى للنظر في نشره.

## المراجع


ابن الأثير، علي بن محمد بن عبد الكريم .(١٩٩٧) .*الكامل في التاريخ* .(ط. ١). بيروت: دار الكتاب العربي.

ابن أبي يعلى، محمد بن محمد .(١٩٥٢) .*طبقات الحنابلة* .(ط. ١). القاهرة: مطبعة السنة المحمدية.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم .(٢٠٠٤) .*مجموع الفتاوى* .(ط. ١). المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي .(١٩٨٨) .*القصاص والمذكرين* .(ط. ٣). بيروت: المكتب الإسلامي.

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي .(١٩٩٢) .*المنتظم في تاريخ الأمم والملوك* .(ط. ١). بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي .(٢٠٠١) .*تلبيس إبليس* .(ط. ١). بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

ابن داود الحنبلي، عبد الرحمن بن أبي بكر .(١٩٩٦) .*الكنز الأكبر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر* .(ط. ١). بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن مفلح، محمد بن مفلح .(١٩٩٩) .*الآداب الشرعية والمنح المرعية* .(ط. ٣). بيروت: مؤسسة الرسالة.

أبو ستة، أمل .(٢٠١٤) .*جماعات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ودور الحنابلة في المجتمع البغدادي خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين .مجلة كلية الآداب*، ٧٤.(١)

التركي، أسامة .(٢٠٢٢) .*عقيدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كتب عقائد أهل السنة والجماعة وموقف المخالفين منها .مجلة كلية الدراسات الإسلامية*، ٥.

الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي .(٢٠٠٢) .*تاريخ بغداد* .(ط. ١). بيروت: دار الغرب الإسلامي.

الخلال، أبو بكر أحمد بن محمد .(٢٠٠٣) .*الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مسائل الإمام أحمد* .(ط. ١). بيروت: دار الكتب العلمية.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد .(١٩٨٥) .*سير أعلام النبلاء* .(ط. ٣). القاهرة: دار الحديث.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد. (د.ت.) .*زغل العلم* .(د.ط.). مكتبة الصحوة الإسلامية.

ابن رجب، عبد الرحمن. (٢٠٠٥).*الذيل على طبقات الحنابلة*. (ط.١).الرياض: مكتبة العبيكان.

الرحيباني، مصطفى بن سعد .(١٩٩٤) .*مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى* .(ط. ٢). بيروت: المكتب الإسلامي.

ابن عقيل، أبو الوفاء. (١٩٧٠).*الفنون*. (ط.١). بيروت: دار المشرق.

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد .(٢٠١٤) .*فضائح الباطنية* .(ط. ١). بيروت: المكتبة العصرية.

كوك، مايكل .(٢٠١٣) .*الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الفكر الإسلامي* .(ط. ٢). بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.

لاوست، هنري.(١٩٧٩). *نظريات شيخ الإسلام ابن تيمية*.(ط.١) القاهرة: دار الأنصار.

مصباح، محمد مجدي السيد .(٢٠٢٢) .*النقد الذاتي للخطاب الاستشراقي: جورج مقدسي نموذجًا .دراسات استشراقية*، (٣٢)، ١٣٥.١٦٧–

مقدسي، جورج .(٢٠١٧) .*الإسلام الحنبلي* .(ط. ١). بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.

مقدسي، جورج .(٢٠١٨) .*ابن عقيل: الدين والثقافة في الإسلام الكلاسيكي* .(ط. ١). بيروت: نماء للبحوث والدراسات.


Articles in Press

مقدسي، جورج .(٢٠٢١) .*نشأة الإنسانيات عند المسلمين وفي الغرب المسيحي* .(ط. ١). القاهرة: مدارات للأبحاث والنشر.

ميلشيرت، كريستوفر .(٢٠٢٤) .*على تخوم التصوف* .(ط. ١). بيروت: نماء للبحوث والدراسات.

هوفر، جون .(٢٠٢٠) .*ابن تيمية: حياته وفكره* .(ط. ١). وهران: ابن النديم.

هورويتز، نيمرود .(٢٠١١) .*أحمد بن حنبل وتشكل المذهب الحنبلي* .(ط. ١). بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.

Articles in Press